خواطر عن الترجمة وعلاقتها بالفلسفة،

اللغة العربية، الفضاء الجامعي، أسئلة الراهن وأشياء أخرى

الأستاذ جمال صابر،

كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد ين باديس مستغانم

تمهيد:

هي بضعة الخواطر تحوم حول قضايا الفكر من خلال التعرض لبعض مظاهره المتجلية في الترجمة وعلاقتها بالفلسفة وبصناعة الرأي وبالفعل النهضويّ وبحركية المجتمع جملة ، حاولت جمعها لأتقاسم مع المهتمين والمسكونين بهوس الثقافة والفكر بعضا من الانشغالات الفكرية. هي محاولة لفتح باب للنقاش وتبادل الآراء حول ما يعترينا من الأسئلة والتساؤلات بغية بعث، من جديد تلك التقاليد التي وسمت عقود من الزمن العربي الجميل، وطبعت سلوك رجلات الفكر والأدب والسياسة.. قد لايبدو فيما سأتناوله في الآتي الشيء الجديد "إن القضايا التي طرحها الفكر النهضويّ العربي في القرن الماضي (القصد القرن التاسع عشر) هي نفسها التي يستعيدها اليوم الفكر العربي المعاصر، ولكن لا ليعيد طرحها طرحا جديدا على ضوء ما مرّ من تجارب وتطورات داخل الوطن العربي وخارجه، وبعقل جديد تماما، بل ليعود فيجترها اجترارا، واقفا في الغالب عند حدود المطالبة والتمني، أو محيلا إياها على المستقبل إقرارا بالعجز"[1]

هذا الكلام قيل في ثمانينيات القرن الماضي، وكأني به لا زال قائما.. هل بالإمكان تجاوز هذا "الإقرار بالعجز" والبحث في أسبابه؟ هل بالإمكان وضع طرف السبابة على موطن الداء وبأنه الداء الحقيقي وليس غيره؟

فهما كانت الأسباب التي حالت بيننا وبين بلوغ مرامينا، إلا أن الداء لا يمكن تصوره خارجا عنّا، عن ذواتنا، "وإذا كان أجد لا يشكّ في أن هناك عوامل موضوعية اقف وراء هذه الظاهرة، إلا أنّ العوائق التي تحول دون تقدم الفكر العربي وتدفعه إلى اجترار نفس القضايا على مدى قرن كامل من الزمن وبنفس الطريقة، لا بدّ أن تكون موجودة في داخله، أي أسبابا عضوية وجوهرية"[2]

إنّها خواطر تحاول أن تثير النقاش حول بعض من القضايا التي، حتى وإن سبق طرحها، إلا أنّها لازالت تشكل أوجاعنا العقلية والفكرية والسلوكية. هي محاولة للبحث عن مقاربات جديدة ومتجددة لفهم المعوقات التي تجعلنا على مسافة من مجتمع المعرفة. هل لدينا الاستعداد النفسي، أولا وقبل كل شيء، لولوج عالم مجتمع المعرفة.؟ ما الذي يحول بيننا وبين هذا المجتمع؟ ما هي الأدوات الواجب امتلاكها لهكذا مقاربة.؟

بعض ما قيل عن الترجمة:

"الترجمة عمل جليل يمارسه عبيد يستحقون التقدير" – فلوبير–

"المترجمون هم جياد البريد ورسل الروح الإنسانية" – بوشكين–

"وإذا أريد من المترجم أن ينتج رسالة مقبولة –رغم ما يلاقيه من صعوبات ونكران الجميل– فلا بدّ أن يمتلك تجربة ممتازة في لغة المصدر، ولا بدّ له في نفس الوقت أن يملك السيطرة على موارد اللغة التي يترجم إليها. فهو لا يستطيع حقا أن يكافئ بين الكلمات مقتصرا على القاموس بل لا بدّ له أن يخلق بالمعنى الحقيقي صيغة لغوية جديدة لكي ينقل المفهوم الذي تعبر عنه لغة المصدر" أ. جين. نيدا..

"ليست للترجمة مهما كانت علمية أية قيمة ما لم تعط على الأقل نفس البهجة التي يعطيها الأصل الذي ترجمت منه إلى القارئ." آي. جآي. أربري

"على الواحد منّا أن لا يترجم أبدا شيئا لا يثير إعجابه. ويجب أن تقوم ألفة بين المترجم وبين ما يترجم قدر الإمكان"
Justin OBRIAN

"لكي يملك المترجم التأثير الكامل فيجب أن يمتلك في النهاية قدرا من الموهبة التي يمتلكها المؤلف الذي يختاره أو يمتلك على الأقل نفس نوع موهبة ذاك المؤلف" نابوكوف.

عن الترجمة:

هي بضعة أقوال منتقاة الغرض من إيرادها هو وضع القارئ في الصورة وإطلاعه عمّا يتجشمه المترجم والمشتغل بحقل الترجمة من عناء أثناء قيامه بعمله. البيّن من هاته الأقوال أنّ المعتكف في محراب الترجمة لابدّ له أن يدرك أنّ كل العيون محدقة فيه وأنّ رضا القراء بشكل عام صعب المنال.. فالكل متربص به، إن اجتهد وقدّم عملا، ترجمة، جيّدا احتفى الناس بالمولود وولوا عن المترجم معرضين، أما إذا كان العمل المنجز غير ذلك فلا يحتاج الأمر كثير عناء لنقف على ما سيلاقيه..

يقال إن الإنسان أول ما فعل رقص ثمّ دندن ثمّ نطق .. فتكلم.. ومع أول فعل كان إيذانا بميلاد الترجمة ..

نعم هي الترجمة ولا ريب، الفعل الأبدي الذي لازم الإنسان ولا يزال.. نعم فعندما أدركت الإنسان الحاجة إلى التعبير عن مشاعره ترجمها رقصا.. وعندما أدركته الحاجة إلى التعبير عن نشوته وطربه ترجمها دندنة .. وعندما أدركته الحاجة إلى التواصل ترجمه نطقا.. وعندما اجتاحته الرغبة في أن يُفهم ترجمها كلاما.. والكلام كما هو وارد في العرف، هو ما أفاد معنى وأجلى فكرة...

لقد حبا الله بني البشر بالترجمة رحمة بهم إذ أفاقوا لا يفقه بعضهم بعضا وقد انهار برج بابل .. فكانت الترجمة التي أأخرجتهم من بلبلتهم، والعهدة على رواة الأساطير.. .

قد يقودنا الحديث عن الترجمة وتاريخها وتطورها، وعن المراحل التي قطعتها إل تسويد عشرات الصفحات دون أن ننهي الموضوع.

فالحديث عن الترجمة، هذا الفعل الأكثر نبلا، لعمري هو حديث ذو شجون..

إن مراثي **غلغامش** والتي تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد لا زالت متداولة لدى شعوب العالم وبمختلف اللغات، وحكم **كنفوشيوس** وكذاك مسلة **حمو رابي** وفلسفة الإغريق إلى أسفار العهد القديم والأناجيل والقرآن الكريم، إلى **ربعيات الخيام** وفتوحات **إبن عربي** وشطحات **جلال الدين الرومي** وحكايا **شهرزاد وشهريار** وقبل هذا وذاك حضارة **المايا والأزتك** وحضارة **الهند والسند** والقائمة بكل تأكيد طويلة. هذا الزخم من التراث الإنساني ما كان ليصل إلينا لولا أن تعهدته الترجمة. إن هذه الأسماء التي أتينا على ذكرها وغيرها هي في الواقع تؤرخ للترجمة ولكن في نفس الوقت تؤرخ لفترة من تاريخ الإنسانية.

وبعيدا عن أيّ تعال، وعن كل شوفينية في الطرح ، فإن التاريخ يشهد على أن الترجمة كفعل حضاري، لم ترتسم ملامحه إلا في العصور الوسطى عند العرب والمسلمين. ولم ترتبط ، في التاريخ مدن بالترجمة، كما ارتبطت مدن عربية كبغداد في المشرق، وطليطلة في بلاد الأندلس.

ولم نعهد في التاريخ البشري، أن ضمت معاهدة صلح بين طرفين متحاربين بنودا تحمل الطرف المنهزم على تسليم مجموعة من الكتب للطرف الظافر، كما حصل مع الخليفة العباسي المأمون حين أجبر الإمبراطور البيزنطي على ضرورة السماح لصفوة من العلماء الذين أوفدهم المأمون لولوج المكتبة الإمبراطورية ليقتنوا منها عناوين كتب معينة[3]

فالترجمة التي بدأت بسيطة في عهد الخلفاء الراشدين، ودولة العرب تتحسس خطاها، أصبحت في عهد بني العباس راشدة وكثر خطابها. وأضحت ترجمة كتاب معين تعد من مفاخر بعض الأسر الكبيرة، إما بنسبها أو بمالها، وأصبحت بغداد أهم حواضر العلم والمعرفة، وأصبح "بيت الحكمة" محجا يقصده طلاب العلم من مختلف الأصقاع على اختلاف دياناتهم وأعراقهم ومللهم ونحلهم.

كان بيت الحكمة كخلية نحل، وكانت الحركة بها دءوبة، لا تتوقف إلا لماما، بين مصففين، ونقلة، ونساخين، ومشرفين،، وقراء مراجعين ومصححين. وكان من بين أهم أجنحتها، ذلك الرواق الذي خصص للترجمة والتي ارتبط، اسمها، لردح من ألزمن بإسحاق بن حنين.

وينقل الرواة والمؤرخون، أن إسحاق كان يدير فريقا يتكون من مائة (100) عامل، وكان هو بمثابة المشرف العام، يراجع الترجمات وينقحها ويصححها، ولا ينسخ أي شيء قبل أن يرى فيه رأيه ويأذن بنسخه. [4]

وكان اهتمام الخلفاء، العباسيين خصوصا، بالترجمة كاهتمامهم بالشؤون الأخرى للدولة. وكانت رعايتهم لأهل الصنعة، كرعايتهم لأهل بيتهم وذويهم، وإلا كيف نفسر تلك الحظوة التي كان يتمتع بها المترجمون لدى الخلفاء، يقربونهم منهم، ويدنونهم في مجالسهم، ويسامرونهم في ليالي أنسهم؟.. ولم نعهد في التاريخ صفة كهذه لدى أيّ كان إلا عند خلفاء وأمراء الدولة العربية الإسلامية.

وربما يعد من مفارقات الزمن العجيبة، أن من أوكلت إليهم هذه المهام، لم يكونوا، في أغلبهم عربا خلصا، ولم يكونوا في أحيين كثيرة مسلمين. وهذه واحدة من أهم الصور التي تحسب للأوائل في تسامحهم ودماثة أخلاقهم.

إن الترجمة كفعل وكممارسة كانت ولا تزال وستبقى المرآة التي تعكس واقع المجتمع وصيرورته. فهي تتفاعل مع كل المظاهر الاجتماعية والسياسية والثقافية في عملية التأثير والتأثر، فتاريخها حافل بالأمثلة التي لا تعدّ ولا تحصى.

"وفي ثقافة استهلاكية إنشائية بترودولارية متطبعة على الكبت الذاتي لا يمكن أن تزدهر إلا ترجمة استهلاكية إنشائية بترودولارية متطبعة على خمول هي الأخرى"[5]

هي الخلاصة التي يفجعنا ويوجعنا بها عبد الحسين الهنداوي في دراسة له حول الترجمة في الوطن العربي.

ومهما كان من أمر، فإن الترجمة تبقى الفعل الذي لا مناص من الاحتكام إليه في عملية التواصل ولقد تمّ إدراك هذا الدور المنوط بالترجمة منذ سنين خلت وليس أدلّ على ذلك مما أورده الأديب الألماني الشهير (غوته) إذ يقول: "مهما أمكن أن يقال عن قصور الترجمة إلا أن هذا النشاط يبقى على الدوام أحد الأعمال الأكثر أهمية والأجدر بالاحترام في سوق التبادل العالمي والكوني" [6]

عن الترجمة والفلسفة:

قبل البدء

"كان لنا في غابر الزمان أجداد شأنهم شأن النسر لا يرضى أن يعيش إلا على القمم، هؤلاء دشنوا رحلتهم إلى الحضارة بالترجمة بدؤوها بـ"كتاب العبارة" لأرسطو وأنهوها كترجمة بكتاب "السماع الطبيعي" أيضا لأرسطو.. ولم يخطر ببال أحدهم إذ ذاك طرح كشكلة المصطلح. كان العربي إذ ذاك ينشئ ثقافة من مستوى الأنسان ويبني حضارة تطور التاريخ الإنساني.. أولائك كانوا في موقع النسر.. فأين هو اليوم موقعنا." [7]

إن الحديث عن الترجمة وعلاقتها بالفلسفة وعلاقة هاته بتلك، هو عمليا حديث عن علاقة عضوية لا انفصام بينهما ..

مما لا يرقي إليه شكّ أن القول المأثور عن الفلسفة كونها أما للعلوم قول لا يجانب الصواب، وإذا كان الأمر كذلك، فإن الترجمة هي بدون أدنى ريب، منتهى العلوم أو الفضاء الذي تنتهي عنده جميع العلوم من علوم إنسانية وطبيعية وتقنية.

ولايساورنا أدنى شكّ، وذاك بإجماع كل الدارسين والباحثين، في أن الفكر الفلسفي العربي–الإسلامي إنما وجد ضالته من خلال ما وفرته حركة الترجمة وما قدمته من أعمال جليلة في نقلها لمعارف الأمم السابقة وفي طليعتها فلسفة الإغريق..

"تبدأ حركة الفكر الفلسفي العربي–الإسلامي، في حدود القرن الثالث الهجري، الثامن الميلادي، وذلك بشخص الفيلسوف العربي، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، الملقب بـ"فيلسوف العرب"، وذلك بعد أن استوعبت تلك الحركة، قضايا علم الكلام، والاشكالات التي طرحتها الفرق المتكلمة بعد أن بدأت حركة الترجمة، وخاصة من التراث اليوناني، وبالخصوص جانبه الفلسفي."[8]

نبدأ حديثنا عن الفلسفة والترجمة بداية من حديثنا عن الترجمة ودورها الرياديّ كما يراها الفيلسوف السوري الراحل **أنطوان مقدسي** من خلال ما أورده في حديثه:

"الترجمة تلبي ثلاث حاجات رئيسية من حاجات الإنسان المعاصر:

الأولى: حاجة القارئ

الثانية: حاجة اللغة المترجم إليها

الثالثة: حاجة المرحلة التي نجتاز"[9]

إن هذا الطرح يبيّن بما لايدع مجالا للشك بأن أهل الفلسفة كان، وما يزال، لهم اشتغال كبير بالترجمة. هذا أولا، أمّا ثانيا فهو تمهيد لرؤية الفلاسفة للترجمة، وثالثا القيام بعملية تشريح لواقع الترجمة بالوطن العربي.

فهل استطاعت أقسام الترجمة، وفي كل الجامعات العربية عموما، وفي الجامعة الجزائرية خصوصا، أن تحقق هذه الحاجات الثلاث؟ أو هل استطاعت ذات الجامعات أن تضع ضمن أهدافها المستقبلية وتصوراتها هذه الثلاثية؟

ونحن نستقرئ رؤية **المقدسي** لفتت انتباهنا نقطة في غاية الاهمية. لقد أشار المقدسي إلى أن: ".. **الفلسفة ذاتها فهذه من اختصاص الجامعات المتكاثرة في الوطن العربي والتي سيمر زمن طويل جدا قبل أن تجعل الفلسفة بعدا من أبعاد ثقافتنا**"[10]

هل استطاعت الجامعات العربية بشكل عام والجزائرية بشكل خاص أن تتجاوز عقبة اجترار التاريخ إلى التأسيس لفكر فلسفي يحلل ويناقش ويؤسس؟

بعد هذا الردح من الزمن هل وفقنا، كلنا عربا وجزائريين، في امداد الطالب بما يمكنه من العبور من مرحلة دراسة تاريخ الفلسفة إلى مرحلة التفلسف؟

هل استطاع طلاّبنا على امتداد الوطن العربي أن يؤسسوا لمدارس فكرية، أوحلقات بحث ، أو منتديات للتحاور؟

هل هو داء السكيزوفرينيا يعمل عمله فينا، نقول شيئا ونعتقد خلافه؟؟

لماذا لم نفلح في ترجمة ما نتداوله داخل أقسام الفلسفة إلى رؤيا، إلى استراتيجية تستشرف المستقبل وتخطط له؟

لماذا فشلنا في ترجمة هذا الكم من المعارف الفلسفية إلى قواعد تحدد سلوكياتنا وتطبعها؟

إن جهابذة الفلسفة، وعلى اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم والذين وسموا الفكر العربي منذ عقود من الزمن، وصنعوا وجداننا وصقلوا عقولنا، وشحذوا معارفنا، بدأوا يشدون الرحال تبعا منذ أمد ولا نكاد نرى لهم خلفاء.. فمن ذا يقود القاطرة؟ من لنا بعقول نيّرة ومستنيرة تمدنا بمفاتيح تفكّ طلاسم عولمة جارفة وتحدد مسالك السير دون الاضمحلال في أتون التشتت والتشرذم؟ عقول تنشر التسامح والحوار وقبول الآخر؟ عقول تنشد المحبّة في تعاطيها مع الشأن الإنساني؟ عقول ترى في الاختلاف تنوع وثراء؟ عقول لا تمارس الاقصاء؟

إذن ونحن نعرض لمختلف مواد التدريس بأقسام الترجمة وغيرها من الأقسام في الجامعات العربية، تساءلنا لم تدرج الفلسفة كمقياس أو مادة ضرورية ضمن برامج التدريس المطبقة؟؟ إذ كل شيء فلسفة، فليس ثمة أيّ تخصص لم تشمله الفلسفة، فما من تخصص إلا وطرح سؤاله البديهي: ما هي الخلفية الفلسفية لهذا التخصص أو لهذا البرنامج؟

إن الغاية التي نريد من إدراج الفلسفة ضمن مواد التدريس، إنما هي البحث عن كيفية النهوض بعقل الطالب العربي عامة وبعقل الطالب الجزائري خاصة، وتحريره من تبعات كل القيود التي تتنافى وطبيعة المنهج العلمي الذي تتبناه الفلسفة والقائم دائما وأبدا على المساءلة والتساؤل والمرتكز على ثلاثية البحث الشهيرة:

القضية نقيض القضية والتركيب

Thèse Antithèse Synthèse

وهي ذات الفكرة، في جوهرها، وفي مقام آحر، تلك التي ذهبت إليها الدكتورة **إنعام بيوض**: "الفلسفة تساعدنا على التأمل في الأمور بصفة أكثر شمولية، والاستعلاء على الدنيويات الآنية عن طريق الغوص في كنه الأشياء"[11]

بل هناك من يجعل من الترجمة والفلسفة شبه شقيقين متلازمين أو هكذا يبدو. فعلم الترجمة الحديث من منظور الدكتور **محمد عناني**: ".. **يشترك مع الفلسفة في انشغاله بالمعرفة Cognition لا من حيث إنها نظرية فلسفية بل من حيث ارتباطها بطبيعة التفكير وما أسهم علم النفس المعاصر به من نظرات في هذا السبيل.**" [12]

إن وجود خلفية فلسفية لكل ما نقوم به، هو افتراض لوجود خزان معرفي نغترف منه متى شئنا وأنى شئنا ما نلبي به حاجاتنا واحتياجاتنا.. وجود خلفية فلسفية يجعلنا في حالة استنفار مستمر.. وفي حالة تيقظ دائم للاستعداد لحالات الطوارئ.. وللبحث الدائم عن تلك الأجوبة لأسئلة القلق وقلق السؤال، وأسئلة الراهن.. بل "**إن الترجمة هي قضية الفلسفة** "[13] كما ذهب إلى ذلك الباحث **عبد السلام بنعبد العالي** ليحلل قوله هذا ويفصله: ".. **بمعنى أن الترجمة أصبحت اليوم هي همّ الفكر في محاولته لإعادة قراءة تراثه وتجاوزه**[14]"

والحال أننا سوف لن نخوض في هذا الأمر أكثر مما قيل فيه لأننا سوف لن نكون، مهما أوتنا من علم وقدرة على امتلاك ناصية كل المعارف، على مستوى أرفع من كل هؤلاء الأساتذة والباحثين. إذن هذا هو البون الذي يفصل ما بين برنامج أعد على روية وتأني وتمعن وتبصر، وبين برنامج أفرزته الارتجالية والاستعجال.

لقد أضحى من الضروري الدفع بالطالب ليرتقي من وضعية الطالب المتلقي إلى وضعية الطالب الجامعي النخبوي الذي يسهم بإبداعاته وأبحاثه في عملية الحراك المجتمعي الناشد لكل ما هو أفضل للعلم والمعرفة ولبني جلدته أفرادا وجماعات. هذا الطالب الذي نصبو إلى تكوينه مبدعا، وخلاقا، وعاشقا بل متيّما بتخصصه وفوق هذا وذاك حالما بغد أفضل له ولأمّته. فالجامعة إنما أوجدت لإعداد النخب التي ستوطل لها لاحقا قيادة الأمّة في جميع نواحي الحياة. وهذا ما ذهب إليه الدكتور حافظ القبيسي في حديثه عن الجامعة وعن ديمقراطية التعليم:"الديمقراطية التي نطلب، ولنحصر كلامنا في التعليم، هي التي تساوي بين حظوظ جميع المواطنين المتكافئين. وهي التي تسمح –في ذات الوقت– بالتمييز بين مواطن وآخر وفق ما اجتهد ووفق نتيجة اجتهاده." [15] إنّ تأييد هذا المنظور مرده إلى أنّ الجامعة كانت، وينبغي أن تبقى الفضاء الذي تعدّ فيه نخبة الأمّة. والتي ستوكل إليها عاجلا أم آجلا مهمة قيادة المجتمع في جميع المواقع. "أمّا القبول بديمقراطية تعليم غير مشروطة بشرط تأمين النخبة، فهو قبول بأن يصبح سائر المواطنين أرقاما متشابهة أودمى متشابهة..". [16]

وعن أهمية الجامعات في حياة الأمم والشعوب يستشهد الطكتور مايكل شتوك، فيدراسة له، بما قاله ملك بريطانيا هنري الثامن:"أجزم بأنه ليس ثمة بقعة من أرض بريطانيا قد أكرمت من تلك التي أعطيت للجامعات، فمن خلال رعايتها ستحكم أرضنا جيّدا بعد موتنا"[17]. هذا عن أهمية الجامعة أما عن خطورتها فيستشهد الدكتور عدنلن مصطفى، في دراسة أخرى، برسالة بعث بها إمبراطور النمسا إلا أن دور الجامعة مذ تأسيسها ما فتئ يت مع سفيره إلى ملك بريطانيا، جورج الرابع، عندما قرر هدا الأخير إنشاء جامعة لندن، يقول فحوى الرسالة: ثمّة مسألة واحدة أرجو أن تثيرها لدى اهتمام الملك قبل أن ترحل،، وهي تتعلق بأمر تأسيس جامعة لندن، فلديك سلطتي أيّها السفير كي تخبر جلالته باعتقادي المطلق بأن متابعة تأسيس هذه الجامعة ستجلب الخراب لبريطانيا." [18] فهل جلبت جامعة لندن الخراب لبريطانيا؟ أم أصبحت الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس؟؟

إنّ غياب استراتيجية واضحة المعالم، سواء كانت قطرية أم قومية، جعل دور الجامعة في انحسار مستمر، "فالجامعة العربية..باتتاليوم رهينة انحسار واضح في سموها العلمي، مما أوصلها إلى مفام سبات يكاد يقارب صمت القبور." [19] وحقّ لنا التساؤل، ها هنا، ما هو دور مئات الجامعات المتناثرة على امتداد الوطن العربي ومساهمتها في تغيير واقع الشعوب العربية وهل استطاعت هذه الجامعات أن تؤمن تكوين النخب التي تعمل من خلال إسهاماتها وإبداعاتها الفكرية على المشاركة في حركية التاريخ لا العيش على هامشه وتستميت في الفاع عن الخصوصية دون الانصهار في أتون عولمة قيّم شرسة ودون معادتها؟.

لقد أضحى من الضروري التفكير في أهمية الجامعة في ظل "مجتمع المعرفة" بوصفها فضاء تتلاقح فيه الأفكار والمعارف منفتح على المجتمع وتحقيق عملية التأثير والتأثر. [20]

وفي خضم التحولات الكبرى التي يشهدها عالم المعرفة صار من الضروري كذلك أن يتجدد دور الطالب الجامعي، طالب يشارك بأفكاره وآرائه أفراد الأسرة الجامعية في إعداد البرامج وآليات التقييم ويتقاسم معهم اهتمامات وانشغالات الجامعة ويساهم في إثراء الجانب المعرفي. [21]

– عن الترجمة واللغة العربية:

" لغة تفتش عن بنيها
عن أراضيها
وراويها
تموت ككل من فيها
وترمى في المعاجم" **محمود درويش.**

"من المعلوم أن اللغات مهما بلغت معاجمها وتعابيرها ومبانيها من تحجر وترد، قابلة للتجديد والإبداع الواسع. إلا أن عملية التطور اللغوي منوطة بأوضاع المجتمع المستعمل للغة." [22]

هكذا خلص المفكر **محمد أركون** إلى نتيجة هي خلاصة بحث مضن في التراث. بحث رسمه وفق منهج علمي يعتمد كل طرائق البحث في العلوم الإنسانية جملة من لسانيات، أنتريولوجيا، وإتنولوجيا، وسوسيولوجيا، وعلم النفس..ألخ.

في هذه الوقفة، وربما عدّ من نافلة القول، ونحن نرافع للدفاع عن اللغة العربية، أن اللغة، وكما يعرفها عامة العلماء، هي كائن اجتماعي، يرقى برقي المجتمع ويضمحل بأفول قوة هذا المجتمع. فإذا عدنا إلى تقليب صفحات التاريخ لنحكي مجدنا التليد نجد أن اللغة العربية سادت العصور الوسطى، وكان غير العرب يجتهدون لتعلمها وإتقانها، لأنها كانت لغة العلوم، ولغة الأدب ولغة السياسة. فاللغة هي مرآة عاكسة لحركية المجتمع. **"إنما اللغة آلة يشحذها الناطقون بها ويزيدونها نفوذا وثروة، إذا ازدهرت الحياة الاقتصادية، والسياسية، والثقافية."** (23)

من هنا تتضح العلاقة شديدة الصلة بين اللغة كأداة تواصل قبل كل شيء، ووعاء يحوي أفكار الأمة، وضميرها الحيّ، وعقلها المفكر، من جهة وبين المظاهر الاجتماعية الأخرى المتمثلة في قوة الإنتاج وجودته، سواء أكان هذا الإنتاج ماديا، إقتصاديا بشكل عام، أم فكريا معرفيا من جهة أخرى. (24)

وكانت اللغة العربية تضرب موعدا مرة أخرى مع التاريخ.. فلاحت بشائر عصر قيل عنه عصر النهضة.. إذ صدمت حملة نابليون بونابرت على بلاد المشرق العرب فزلزلتهم وخلخلت كل قناعاتهم حيث اكتشفوا لأول مرة مدى التخلف الذي كانوا فيه يرتعون.. لم تكن حملة نابليون على مصر والشام حملة عسكرية بل كانت حملة علمية استكشافية أيضا، إذا انضم إلى "جيش الشرق"، وهو الإسم الذي أطلق على جيش الحملة، جحافل من العلماء والباحثين والمترجمين كذلك وليس أدل على ذلك مما خلفته الحملة. ففي أقل من ثلاث سنوات، 1798 –1801 وهي عمر الحملة، حتى تم تأسيس معاهد ومدارس تعنى بدراسة الآثار والحضارة الفرعونية(25) .

فبمجيء محمد علي، وبعد قضائه على الفوضى التي خلفتها الحملة الفرنسية، وبعد الاستقرار السياسي والاجتماعي، بدأت حركة علمية كبيرة صاحبها نشاط الترجمة التي بدأ تأخذ منحى جديدا وبدأت اللغة العربية تتحرر شيئا فشيئا، من لغة المتون واللغة الفقهية من جهة ومن أثار الوهن الذي لحق بها نتيجة تأثيرات عصر الانحطاط من جهة أخرى، نحو أفق أقل ما يقال عنه أنه بدا حداثيا.. فأبدت اللغة العربية رحابة صدر كما عهدناها لاستقبال المفردات العجمية وتطويعها واحتوائها ضمن قاموسها الجديد.. ولأن رجالات عصر النهضة انبرو للتأليف والترجمة فلقد استعادت اللغة العربية أنفاسها وأبانت عن قدرة على مواكبة مستجدات العصر وكأن رواد "بيت الحكمة" قد بعثوا من جديد، فلم نسمع إذ ذاك من تحدث عن أزمة مصطلح أو عن قصور في إدراك المعاني.. على الرغم مما قيل عن تلك الترجمات من تعثرات، و قلة الأمانة العلمية وعن أشياء أخرى..

إن ميلاد المجامع اللغوية، في البداية، كان مؤشرا قويا لوجود طموح أكبر لاستدراك ما فات. إلا أن هذه المرحلة "السعيدة" لم تعمر طويلا. وككل مشاريعنا النهضوية، فلقد صارت هذه المجامع اللغوية لاحقا، عبئا ثقيلا إذ انكفأت مرة أخرى في مجادلات حول المفاهيم فعملت من حيث، ربما، لا تدري في التأسيس لميلاد أزمة المصطلح من جديد. وأصبح الفكر العربي المعاصر يواجه إحدى تجليات أزمته أل وهي أزمة المصطلح.

وبكل تأكيد ليس للترجمة في حد ذاتها يد في ما هو راهن لكون هذا الأمر أسند لغير أهله فأصبح كل من يجيد لغتين يعتقد أنه بإمكانه القيام بفعل الترجمة. والحاصل أنّه ليس كل من أجاد لغتين صار مترجما على رأي ماجد النجّار." (26)

إنه لمن الجهل بمكان الاعتقاد بأنه يمكن معالجة قضية الترجمة بمعزل عن اللغة. إذ أساس العملية برمتها قائم على اللغة وضرورة الاشتغال بها وعليها. ولقد أدرك الوهن اللغة العربية، مرة أخرى، وتشتت وفق إيديولوجيات وخطابات دغمائية عملت كلها على رهن اللغة العربية وتكافؤيا رهن المواطن والوطن العربيين لتبدأ تجليات المأساة .. مأساة اللغة. **"مأساة الترجمة كامنة إذن في ثقافتنا الراهنة التي تتوهم أنها في ذروة النهضة، بينما لغتنا لا تزال نصف صحراوية"**(27)

إن مأساة الترجمة هي من مأساة اللغة العربية. والأزمة متعددة الأوجه. فهي أزمة لغة، وأزمة ترجمة، وأزمة فكر، وأزمة المثقف والأديب، وهي اختصارا أزمة الإنسان العربي.. إنّنا نتساءل، والسؤال هاهنا مشروع، كيف حدثت الرّدة؟؟ كانت لغة عربية جميلة حاملة لآمال عريضة تنشد الحياة.. حالمة بمستقبل مشرق على جميع الأصعدة، إن سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا أو ثقافيا.. لغة حداثية في مبانيها ومعانيها..

حداثية في أفكارها.. حداثية في تطلعاتها.. كيف تحول خطابنا اللغوي من خطاب حداثيّ متنور إلى خطاب فيه من السماجة والبلاهة ما يكفي لأن يبيد أمّة بلادة؟

وسأفيض في هذه العجالة مما أفاض به الدكتور شوقي جلال مدخلته: "والحال التي انتهينا إليها، بعد قرن ونضف من الترجمة منذ عصر رفاعة وحتى اليوم، تمثل أزمة على مستوى العقل الجمعي، وتهدد اللغة التي ننتمي إليها.. التي هي نحن." (28)

- الترجمة والفعل النهضويّ:

إن استعراض المسار التاريخي للترجمة هو في واقع الأمر استعراض لتاريخ الحضارات واستعراض لتقدم الأمم والشعوب وصراعها من أجل البقاء..

لقد حاولت الشعوب العربية، بعد مرحلة الكفاح من أجل استرجاع استقلالها السياسي، البحث عن سبل أخرى تعزز هذا الانتصار من أجل تكريس مرحلة البناء القومي محاكية في ذلك ما حدث للأمم الأوربية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بيد أن الواقع كان أقسى على مستويات متعددة، مما جعل نهضة العرب هذه تخبو، وتتعثر قبل أن يشتد عودها إن لم نقل تجهض ..

فواقع الشعوب العربية شديد التخلف جعلها غير قادرة على مواصلة مرحلة "التحرر الفكري"، إذ النهضة، وإن كان روادها هم، دائما، أصحاب العقول النيّرة، إلا أن تواصلها وديمومتها يكمنان لا محالة في احتضان المجتمع لها.

ولأن الشعوب العربية ركنت، مجبرة، إلى فترة من الجمود تعدت العشرة قرون، فلقد كان من الصعب على هذه الشعوب بما كان أن تحتضن نهضة قائمة ومبنية على أسس من الفلسفة العقلية في مدة وجيزة ..

لقد كانت الشعوب العربية مقيدة بجملة من الأحكام **الغيبية** غير المؤسسة في الكثير منها كرستها المؤسسة السياسية التي كانت تبحث بكل الطرق وبشتى الوسائل عن الكيفية العملية التي تجعلها تدوم وتستمر. فالأسر الحاكمة ابتداء من بني أمية وانتهاء بالمماليك فالأتراك، كلّها كانت تبحث في **الموروث** لتثبيت شرعيتها في الحكم.

إذن هي قضية **"الشرعية"** التي جعلتنا نحبذ إلى حد كبير الانطواء والانزواء تحت غطاء **"سد الذرائع"**، و"طاعة وليّ الأمر"، و"كل بدعة ضلالة"، و"مخالطة العموم سموم"، و"ما ترك الأولون للمتأخرين شيئا". وهي ذات الشرعية التي لازالت "ظلالها" تخيم على كل الوطن العربي إلى يومنا هذا.. فكل فكر متحرر خارج الأطر الرسمية المؤسساتية يعد خروجا على "الجماعة" ولو كانت ضالة.؟

هذا عن قساوة الواقع في شقه الداخلي، أما قساوته في شقه الخارجي، فلم يكن، هو الآخر، أرحم على الشعوب العربية. فالانطلاقة العملاقة التي خطاها الغرب بخطى ثابتة ومدروسة، جعلتنا، نهاية، عاجزين عن اللحاق بركب هذا الغرب، وأضحى التفكير في تجاوزه ضربا من ضروب الخيال.

كيف يتأتى لنا الالتحاق بالركب ونحن عن أسس إقلاعه عازفون بل وفي كثير من الأحيين لمبادئه محاربون..؟ فهل بالإمكان تصور انطلاقة خارج أو بدون الأخذ بأسباب التقدم؟ هل بالأمكان التفكير في اللحاق بالركب دونما التفكير في الأخذ بناصية العلم والمعرفة؟ كيف هو تعامل الشعوب العربية على اختلاف أطيافهم وطبقاتهم مع عالم العلم والمعرفة؟

إن الفجوة التي تفصلنا عن غيرنا من الأمم المتقدمة ليست فجوة اقتصادية بقدر ما هي فجوة علمية. "وسوف يتبين لنا أنّ نكستنا الحضارية ليست أبدا بسبب الابتعاد عن أيّ شيء آخر سوى الابتعاد عن العلم إنجازا ومنهجا، وإدارة شؤون الحياة والمجتمع وتفاعله مع العلم". (29)

إن النهضة الأوربية جاءت عسيرة. والتحولات الكبرى التي شهدتها الأمم الأوربية لم تكن دون ضريبة. فما يسمى بعصر النهضة La Renaissance لم يعمر أكثر من قرن ونصف على أقصى تقدير، حين لاحت بشائر عصر آخر ما كان لولا هذه الرغبة الجامحة في سبر أغوار الحقيقة، والتطلع، دائما، إلى ما هو أفضل في إدارة شؤون المجتمع، فكان عصر الأنوار L'Age de Lumière أو ما يصطلح على تسميته عصر فلسفة الأنوار.

لقد جاءت فلسفة هذا العصر لتكرس عهد العقلانية Le Rationalisme التي تمجد العقل وتجعل منه سيّدا في البحث والتفكير والاستنباط واستصدار الأحكام.

ظهر هذا التوجه، خاصة، بعد حروب الثلاثين سنة الدينية التي شهدتها المجتمعات الأوربية، وما تبعها من انهيار سلطة الكنيسة الكاثوليكية المطلقة، وتمرد البعض من أتباعها ليؤسسوا مذاهب أخرى تعبر عن تطلعاتهم في التعلق بـ"إله" أكثر عدالة، وأكثر سماحة. (30)

فما كان من الكنيسة، في نهاية المطاف، إلا أن تجاري هذه الشعوب، قدر الإمكان، حتى تحافظ على بعض من إرثها التاريخي، وذلك بأن كفت يدها عن مساندة الأنظمة اللاحقة المتسلطة، وكانت في كثير من الحالات سباقة في الدعوة إلى إحلال الديمقراطية والحفاظ على الحريات الفردية والجماعية.

لقد تمخض عن النهضة الأوربية التي جاءت بعد عشرة قرون من الظلام الدامس،

وبعد ثلاثة قرون أخرى من الحراك كانت حبلى بشتى الأفكار والتوجهات، والصراعات، سلوك جديد وحداثي إنسحب على مختلف الميادين الحياتية للشعوب الأوربية..

ومما سلف ذكره، في الحديث عن النهضة الأوربية، والطفرة الهائلة التي حققها الغرب، تنبغي الاشارة إلى جملة من الحقائق التي لا مناص من الاحتكام إليها إذا أردنا فعلا أن نحقق لأنفسنا مكانا تحت الشمس في عالم العولمة والنظام العالمي الجديد:

أولا، إن النهضة عمل متواصل غير منفصل العرى. ونحن نستقرئ التاريخ الأوروبي، ندرك تلك النقلة بين المراحل الثلاث التي وسمت حركية المجتمعات الأوربية:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة التي سبقت النهضة ووسمت كل الشعوب الأوربية المتمثلة في النظام الاقطاعي الزراعي. في هذه المرحلة، كان حظ الأفراد من العلم قليل وكان يقتصر على النبلاء وكانت المرجعية العلمية والمعرفية هي الكنيسة والمتون اللاتينية.

المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي تؤرخ للنهضة الأوربية الحديثة. حيث ظهرت الطبقة الوسطى المتمثلة في فئة التجار. لقد لعبت هذه الطبقة الوسطى دورا هاما في بعث حياة سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية جديدة. كان من أهم تجلياتها ظهور المراكز التعليمية والجامعات التي اندفعت نحو الترجمة متمثلة في ذلك ما قام به العرب في بداياتهم. وعلى الرغم من ممارسات الإضطهاد ومحاكم التفتيش التي عانى منها المسلمون بعد سقوط غرناطة، إلا أن طليطلة احتفظت بمرجعيتها العلمية والمعرفية حيث كانت حاضرة للعلم والترجمة بشكل خاص ولعلّه نجد ما يؤكد ذلك إذا ما أمعن النظر في السيرة الذاتية للكاتب الإسباني الشهير سيرفانتاس وأين احتفى بتحفته العالمية "الدون كيخوتي ديل لامانشا"، إذ كثير من الدراسات تشير إلى أنّ بدايات القصة إنما ولدت في طليطلة.

المرحلة الثالثة: لقد أحدثت الثورة الصناعية تغييرا جذريا هائلا، وأبانت عن وجه جديد لمجتمعات متطلعة دائما وابدا نحو الأفضل. لقد أثرت هذه الثورة بشكل كبير في تغيير مجرى الحياة الأوربية بكل مظاهرها، سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، وثقافيا. وهي ذات المرحلة التي ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا وإن تخللتها محطات كثيرة من ثورات وهزات سياسية وأمنية إلا أنّ الطابع العام لهذه المرحلة لا زال قائما وإن اختلفت الأدوات والآليات إلا أن الجوهر واحد.

ثانيا، تكريس السيادة للعقل وللعلم والمعرفة: لقد أبانت النهضة الأوربية الحديثة، ابتداء من أواخر القرن الخامس عشر عن تناقضات جمّة لم يكن الحسم فيها بالأمر الهيّن. كان هناك توق للانعتاق والتحرر يقابله انغلاق أنظمة سياسية عتيقة لم تشأ التزحزح عمّا توارثته من انماط الحكم وجملة العلاقات الاجتماعية التي تكرس ديمومة تلك الأسر الحاكمة. وكان لا بدّ للصراع أن يحتدم خاصة مع بروز تيار قوي يتزعمه خليط من فلاسفة وعلى رأسهم "ديكارت" والذي تنسب له رئاسة الفلسفة الحديثة(31)، وجون جاك روسو، وجون لوك، ومن شعراء وعلى رأسهم رامبو، وبودلير، ومن رجال دين كلوثر وكالفين.

لقد عمد هذا التيار إلى تكريس مفهوم العقلانية وأنذ السيادة للعقل وللقيم الإنسانية. وصاحب هذه المرحلة نشاط فلسفي حداثي كانت من أهم نتائجه أن تبلورت فكرة إنشاء الجامعات وتشجيع البحث العلمي.

هذه الفلسفة الحداثية هي التي ستقف، لاحقا، وراء كل الهزات السياسية والاجتماعية التي عرفتها أوربا ابتداء من نهاية القرن الثامن عشر (الثورة الفرنسية 1789) وإلى غاية بدايات القرن العشرين (الثورة البلشوفية 1917).

ثالثا، احتضان الشعوب الأوربية للفكر الحر: عندما لاحت في الأفق إشارات عهد جديد يبشر بشيء من الحرية والانعتاق، أقبلت جلّ الشعوب الأوربية على المكتسبات هذا العصر متطلعة إلى ما هو أفضل.فالنظام الاقطاعي الذي استعبدهم لعهود طويلة انتهى ومعه انتهت

كل أساليب وأنماط تسيير الحياة السياسية والاجتماعية. فأقبل بعضهم على تعاطي التجارة كوسيلة لتحقيق الذات والوقوف ندا في وجه النبلاء، إذ أغدقت التجارة على فئة الطبقة الوسطى ثروات طائلة وتكدسا في الأموال[32] فتح لها فيما بعد المجال واسعا للتعاطي مع الشأن السياسي.. ولم تعد أساليب تسيير الشأن العام تستوعب طموحات الشعوب في ممارسة الحكم بشكل أو بآخر، فكان لا بدّ من التغيير. ومن هنا يتجلى احتضان الشعوب العجيب لهذا المكسب، وما تحقق معه من مكاسب وامتيازات أخرى. سنرى كيف ستستميت هذه الشعوب في دفاع عنها عندما حاولت بعض الأنظمة الحاكمة استرجاع أنماط الحكم الملكي المطلق والشموليّ الذي يفرض رقابته على الفكر ويقيد حدوده.

رابعا، انحسار دور الكنيسة:عمد رجال الدين إلى إحداث تغييرات كثيرة وربّما كبيرة في تعاطيهم مع الشأن اللاهوتي وعلاقته بالعامة، وخاصة بعد الحروب الدينية والتي كادت تعصف بالكنيسة الكاثوبيكية. وكان وراء هذه التغييرات طهور مصلحين دينيين مثل لوثر وكالفين. ولما علمت الكنيسة بأن الاحتقان السياسي كان دائما وراء كل غضب جماهيريّ، انسحبت من المشهد السياسي قبل رجال الدين أن يعيدوا لقيصر ما لقيصر دون أن يفقدوا ذلك التأثير على مجرى الأمور إذ بقيت الكنيسة حاضرة، بشكل أوبآخر، في صناعة القرار. هدا ما جهة، أمّا من جهة أخرى فلقد عمد الباباوات المتعاقبون على نيابة رئاسة "الكرسي الرسولي"بتشجيع الحركة العلمية، إذ ألحقوا بالكنائس المدارس وأنشأوا فيما بعد المعاهد الكاثوليكية في مختلف التخصصات.

خامسا، دور المؤسسة السياسية: قامت المؤسسة السياسية ممثلة في الملوك والأمراء بتشجيع العلماء متأثرين في ذلك بملوك وسلاطين العرب والمسلمين وكيف كانوا يحيطون مجالسهم بالعلماء على اختلاف تخصصاتهم. فوجدناهم يشرفون بأنفسهم على الحركة العلمية بشكل عام والحركة الاستكشافية بشكل خاص، الشيء الذي فتح الباب أمام الكثيرين ودفع بهم إلى ولوج عالم المغامرة والبحث وبالتالي لم تعد الأسر الحاكمة أو رجال الدين هم وحدهم من يقرر سياسات الدول. فلقد دخلت فئة أخرى معترك الحياة السياسية، وأصبح لها نفوذ قويّ في تسيير دواليب الحكم. وتتمثل هذه الفئة في الصناعيين المنحدرين في أغلبيتهم من الطبقة الوسطى أي فئة التجار. إذن هي "مرحلة تتسم بالنشاط التصنيعي والاقتلاع {نهائيا} عن النظام الزراعي العتيق وتفضيل الانتاج والاستهلاك والمعاملة التجارية والتضخم النقدي والتمركز الدولي" [33].

ونتيجة لهذه المتغيرات المطردة، كان لا بدّ من البحث عن أشكال عملية أخرى في ممارسة السياسة، وتحقيق طموحات الكثيرين ممن كانوا يرون أنّ المشاركة في الحكم حق لكل الأفراد. فبدأت فكرة الديمقراطية والمواطنة تنضج شيئا فشيئا. فأقيمت البرلمانات على اختلاف تسمياتها: الجمعية الوطنية، مجلس الشيوخن مجلس العموم، مجلس اللوردات.. والمؤكد أنّ هذه التغييرات لم تمر دون تضحيات جسام وصلت حد العنف المسلح والاقتتالفي كثير من الأحيان. فلقد أريقت دماء وأزهقت أرواح في الثورات التي لم تكن تخمد في مكان ما إلا لتشتعل في مكان آخر. ومع هذه المتغيرات، ظهر الاتجاه القومي لدى بعض الشعوب التي كانت موزعة بين ممالك وإمارات وإمبراطوريات عدة. فكانت الوحدة الألمانية،، فالوحدة الإيطالية، واستمر تأجج الشعور القومي إلى عاية اندلاع الحرب العالمية الأولى. فدكت عروش، وقتل ملوك، وتفككت إمبراطوريات وانهارت أسر ظلت تتوارث الحكم لردح من الزمن.

ولقد أدرك الفلاسفة والمفكرون الأوربيون خطورة التفكك وما يصحبه من ضعف ووهن، فاتجهوا نحو الدعوة إلى ضرورة التكتل.. كان نضالا طويل الأمد.. ودفاعا مستميتا قادته النخب على مدار عقود من الزمن فكانت السوق الأوربية المشتركة، وقد ضمدت أوربا جراحات الحرب العالمية أولى والثانية، ليولد من رحمها الاتحاد الأوربي الذي يعدّ أكبر تجمع إتحادي على أيامنا..

سادسا، تثبيت الحريات العامة وضمانها: إن أهم عامل ساعد على بعث حركة نهضوية/ علمية، هو بدون أدنى شكّ تلك الحرية التي لم تستطع كل الأنظمة التعاقبة على طمسها إذ أصبحت المحرك الرئيسي والباعث والدافع إلى البحث.

فالحرية الفردية والجماعية التي هددت في كثير من الأحيين عروش دول، كانت من جهة أخرى الضامن لبقاء عروش حين أقر بعض الملوك التعامل مع شعوبهم على أساس من المساواة والعدالة والحرية.

فحرية الرأي وحرية المعتقد وحرية البحث العلمي هي وحدها الكفيلة بصنع ازدهار الأمم ورقيها.

خاتمة:

ونحن نتعرض للنهضة الأوربية والعربية على حد سواء، نلاحظ تلك العلاقة شديدة الصلة بين حركية المجتمع والفعل النهضوي، والترجمة واللغة. فالعلاقة دوما طردية، فكلما ازدهرت أمّة ما إلا وازدهرت فيها حركة الترجمة بشكل كبير وتفتقت لغتها، وكلما انحطت أمة ما انحطت فيها الترجمة ومعها لغة تلك الأمّة.

لقد آن الأوان لكي نفتح الأبواب على مصارعها، ودون وجل ودون أحكام مسبقة ودون تردد، لإعادة قراءة الذات من جديد.. إن جملة المتغيرات الحاصلة على مستوى المنظومة الفكرية العالمية تدفعنا وتستعجلنا إلى ضرورة الانفتاح على تراثنا لقراءته قراءة متأنية وموضوعية ومتمعنة ومتبصرة.. قراءة تسمح لنا بالتعرف على جملة الأصوات المشكلة لتراثنا. فتراثنا متعدد الأصوات وإن كان يأتي دائما في صيغة المفرد[34]

إذن هي الضرورة القصوى والملحة التي تدفعنا إلى هكذا فعل قبل أن يبادر غيرنا فيملي علينا ما ينبغي علينا الأخذ به وما ينبغي تركه دون أو يكون لنا رأي أومساهمة فيما يراد لنا. ينبغي أن تعبر قراءة الذات عن حاجة ورغبة داخلية قبل أن تكون حاجة دولية. [35]

هذه الأفكار ليست بتخمينات وإنما هو الحاصل بالفعل، وليس أدلّ على ذلك مما نسمعه من مبادرات وكتابات.

"إن التراث الذي يفرض سيادته، بعيدا عن أن يسمح بإدراك ما ينقله فإنه غالبا ما يساهم، على العكس من ذلك، في تغليفه وحجبه. وهو يحط من محتواه ويجعل منه مجرد بداهات فيحول دون بلوغ "المنابع" الأصلية التي نهلت منها المقولات والمفاهيم التقليدية في جزء منها على الأقل، بل إن التراث قد يرمي بهذه الأصول في طي النسيان." [36]

وبناء على ما ذكر سلفا من مظاهر النهضة الأوربية، يمكننا أن نعكس الأية، ونرى ما الذي حققناه من الشروط الآنفة الذكر لتحقيق نهضتنا المنشوذة وقفزتنا المأمولة؟ إنّ الوقت قد حان كي نفكر ونبحث عن السبل اللمثلى للانتقال، في عصر العولمة والنظام الدولي الجديد، من ثقافة المقاومة، المتسمة بالتقوقع والانكفاء على الذات إلمقهورة بالانكسارات والمثخنة بالصراعات البينية ومعاداة الآخر، إلى ثقافة الانفتاح الإيجابي المتجلية أولا وقبل كل شيء في المصالحة مع الذاتووعي خصوصيات الراهن، والتفاعل مع المستجدات دون الذوبان، وخلق جسور التلاقي في فضاء القيّم الإنسانية مع الآخر.

إن ثقافة المقاومة التي تلبسناها منذ مئات السنين لا تعدو، في واقع الأمر أن تكون سوى استنزاف للطاقات، وبالتالي الموت البطيء الذي نلمسه في هذا الشعور بالإحباط وحالة اليأس والقنوط التي تكاد تعصف بالشعوب العربية.

ما موقع مثقفي الوطن العربي اليوم مما يجري داخل هذا الوطن وخارجه؟ لماذا انسحب المثقفون من المشهد الثقافي والفكري والسياسي والاجتماعي وحتى الإعلامي لصالح المتطفلين والأدعياء؟

كان المثقفون العرب، على اختلاف مللهم ومحلهم، في عشرينيات وثلاثينيات وأربعينيات وخمسينيات وستينيات وحتى سبعينيات القرن الماضي، يصنعون ملاحم الفكر والتوجه. كانوا في الطليعة دائما نبراسا للقادة ووقودا للشعوب. ما الذي حدث؟ لماذا انكفأ المثقفون العرب يجترون أطروحات لم تعد تستوعب اهتمامات الشعوب العربية ولم تعد تستجيب لتطلعاتهم؟

لماذا لم يستطع مثقفونا، بل لنقل لماذا عجزوا على تحرير بيان يقنع الرأي العام المحلي والدولي بأن "بيان المثقفون الستون الأمريكان" جانب الصواب في تعاطيه مع الأحداث التي أعقبت تفجيرات 11 سبتمبر؟

الهوامش:

1. مجلة دراسات عربية. تقديم لكتاب الراحل د. محمد عابد الجابري. الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية. ص: 54 .
2. م.ن
3. شحادة الخوري. دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. ط 1 . 1989 .
4. د. علي تابليت.نظرة تاريخية عن حركة الترجمة عند العرب. مجلة "دفاتر الترجمة".معهد الترجمة. جامعة الجزائر. العدد الثاني.1996 .
5. عبد الحسين الهنداوي. ن.م
6. [1]– Antoine Berman, L'Epreuve de l'étranger . Paris, Gallimard. 1984.
7. أنطوان مقدسي. حاوره في دمشق الكاتب: فايز ساره
8. من مقدمة كتاب "حي بن يقظان" لأبي بكر بن طفيل. تقديم زواوي بغوره. منشورات موفم للنشر. الجزائر. 2011 .
9. أنطوان مقدسي. م.ن
10. ن.م

11. د/ إنعام بيوض. السمك لا يبالي. ط1 , 2004 . منشورات الاختلاف.
12. د/ محمد عناني. الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق. الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان مكتبة لبنان ناشرون. ط 1 . 1997 .
13. عبد السلام بنعبد العالي. في الترجمة. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت. ط 1 . شباط/فبراير 2001 .
14. ن,م,
15. د. حافظ قبيسي. التعليم العالي في الوطن العربي بين حق المواطن في العلم وحق المواطن في النخبة.مجلة عالم الفكر.
16. –د. حافظ القبيسي. م.ن
17. د.مايكل شتوك. المهددات الداخلية والخارجية لجامعة القرن الحادي والعشرين. مجلة عالم الفكر,
18. د.عدنان مصطفى. مسألة الجامعات العربية: منظور القبور الحيّة. مجلة عالم الفكر
19. م.ن
20. « Rappeler, en particulier que le rôle actuel de l'université s'est très fort étendu par rapport a sa mission traditionnelle. Dans une « société cognitive » ou connaissance et communication constituent les principaux enjeux de développement. L'université est appelée- plus que toute autre structure- a contribuer à la richesse collective, non seulement par la formation des future spécialistes, mais en assurant aussi une cruciale mission de vulgarisation auprès du grand public ». Diendo LECLERQ. Education et Formation. Pédagogues et Pédagogie. P :11
21. « C'est que, comme adulte citoyen, l'étudiant au supérieure partage avec les maîtres le devoir de définir ou d'infléchir les objectifs, les méthodes, les interactions, les systèmes d'évaluation. » même référence. P : 12
22. أركون محمد. الفكر العربي.ترجمة عادل العوا. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. ط 2 . 1982 .
23. ن,م
24. م.ن
25. د. علي تابليت. دفاتر الترجمة. معهد الترجمة. جامعة الجزائر. العدد الثاني. 1996
26. ماجد النجار: مقدمة ترجمة كتاب "نحو علم الترجمة" . أ.جين. نيدا. 1964 .
27. عبد الحسين الهنداوي. مجلة "الاغتراب الأدبي". بريطانيا. السنة الخامسة. العدد الرابع عشر. 1990 .
28. د. محمد شوقي جلال. المرجع نفسه
29. د.محمد شوقي جلال. الترجمة في الوطن العربي. نحو إنشاء مؤسسة عربية للترجمة.
30. محمد أركون. الفكر العربي.
31. د. طه عبد الرحمان. فقه الفلسفة– 1 – الفلسفة والترجمة.
32. محمد أركون. م,ن
33. محمد أركون. م,ن
34. عبد السلام بنعبد العالي. حول مسألة التراث.مجلة دراسات عربية. العدد 4 . 1983 .
35. رضوان جودت زيادة. سؤال التجديد في الخطاب الإسلامي المعاصر. دار المدار الإسلامي. ط.1 . 2004 .
36. م. هايدغر. "الوجود والزمان". أنظر عبد السلام بنعبد العالي: حول مسألة التراث.
37. رضوان جودت زيادة. سؤال التجديد في الخطاب الإسلامي المعاصر. ص. 12 و13 . أنظر الهامش.

– البيليوغرافيا:

– د.إنعام بيوض: السمك لا يبالي. ط. 1 . 2004 . منشورات الاختلاف.
– أركون محمد: الفكر العربي. ترجمة عادل العوا. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. ط2 . 1982
– د. محمد عناني: فن الترجمة.الشركة المصرية العالميةللنشر. –لونجمان– 1994 ,
– د. محمد عناني: الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق. الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان– مكتبة لبنان ناشرون. ط. 1 . 1997 .
– عبد السلام بنعبد العالي: في الترجمة. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت. ط.1 .شباط/فبراير 2001 .
– شحادة الخوري: دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. ط.1 . 1989 .
– أ. جين. نيدا: نحو علم الترجمة. ترجمة ماجد النجار. 1964 .

°° المجلات:

– عالم الفكر. إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. المجلد الرابع والعشرون –العدد الأول والثاني– يوليو/سبتمبر– أكتوبر/ديسمبر. 1995 . الكويت.
– الترجمة في الوكن العربي. نحو إنشاء مؤسسة عربية للترجمة.إصدار مركز دراسات الوحدة العربية. ط.1 . فبراير 2000 .
– الاغتراب الأدبي. بريطانيا. السنة الخامسة.العدد الرابع عشر. 1990 .
– دفاتر الترجمة. معهد الترجمة. جامعة الجزائر. العدد الثاني. 1996 .